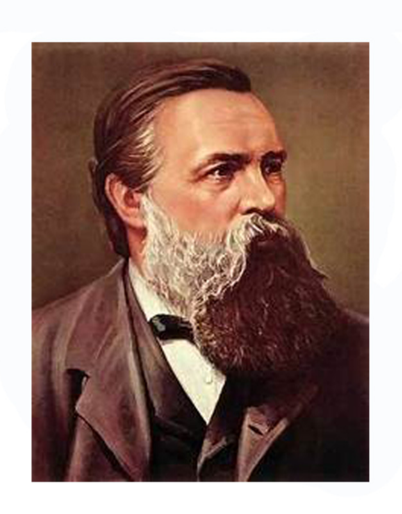
أنـــــــجلس



تــعريب الطريق الجديد - بغداد

دار الفـارابي - بيروت
مكتبة النهضة - بغداد





فريدريش انجلس

الباكونينية في العمل

تعريب الطريق الجديد - بغداد

هذه ترجمة كراس انجلس
المعنون بالانكليزية :
« The Bakuninist At Work »
(Review of the UPRISING
in Spain in the Summer
of 1873)

نيسان ١٩٧٤ ــ بيروت

مقدمة

(١)

ان القليل من المعلومات التاريخية قد تكون ذات عون في جعل المقالة(٢) الآتية يسيرة الفهم .

في ٩ شباط ١٨٧٣ تنازل الملك أماديو عن العرش بعد ان تعب من حمل التاج ، وهكذا أضحى اول ملك يضرب عن العمل . وفي الثاني عشر منه اعلنت الجمهورية واندلعت على الفور ثورة (كارلية) جديدة في مقاطعات الباسك . وفي العاشر من نيسان انتخبت الجمعية التأسيسية وعقدت اول اجتماع لها في مطلع حزيران . فأعلنت في الثامن منه انبثاق الجمهورية الفدرالية . في الحادي عشر من الشهر نفسه تشكلت حكومة جديدة برئاسة بيا مارجل . وفي ذات الوقت انتخبت لجنة لتشريع دستور جديد ، الا ان الجمهوريين الراديكاليين ، الذين يطلقون على انفسهم لقب

« العنودين » ، طردوا منها . عندما اعلن الدستور الجديد في الثالث من تموز ، اتضح انه لا يصل ، في نظر « العنودين » ، الى حد تقسيم اسبانيا الى اقاليم مستقلة . لذا نظم العنودون على الفور تمردا في الاقاليم . بين الخامس والحادي عشر من تموز انتصر « العنودون » في سيفيل ، قرطبة ، غرناطة ، مالقة ، قادش ، الكوي ، مورسيا ، قرطاجنة ، فالنسيا ... الخ ، وأسسوا حكومات محلية مستقلة في كل من هذه المدن . في ١٨ تموز استقال بيا مارجل وحل محله سالميرون الذي أرسل جنوده على الفور لمجابهة العصاة . انهزم الاخيرون بعد بضعة ايام أبدوا خلالها مقاومة طفيفة، وبسقوط قادش في ٢٦ تموز استعادت الحكومة نفوذها في أصقاع الاندلس ، كما اخضعت في نفس الفترة تقريبا كلا من مورسيا وفالنسيا . غير ان فالنسيا قاتلت بضراوة .

قرطاجنة وحدها هي التي صمدت . ان هذا الميناء البحري ، وهو اكبر موانىء اسبانيا ، الذي سقط هو والاسطول بيد العصاة كان يحظى بحماية ثلاثين قلعة منفصلة وسور ضخم من جهة البر، لذا لم يكن الاستيلاء عليه هيناً . ولما لم تكن الحكومة متلهفة على الاطلاق

لتدمير قاعـدتها البحرية ، فـان « حكومة مقـاطعة قرطاجنة » ظلت على قيد الحياة حتى كانـون الثاني ١٨٧٤ ، وهو اليوم الذي استسلمت فيه ، مـا دام لم يكن لديها مـا تفعله غير ذلك بتاتا .

ان كل ما يعنينا هنا من هذه الفتنة الفاضحة هـو السلوك الاكثر فضيحة للفوضويين الباكونينيين . هؤلاء وحـدهم معروضون هنا بشيء من الاسهـاب كدرس تحذيري للعالم المعـاصر .

I

ان التقرير الـذي نشرته هيئة لاهـاي عن تحـالف ميخائيل باكونين السري (انظر مقالتنا في فولكشتات . الاعـداد ٨٧ الى ٩٠ تحت عنـوان

El Cagliostro Bakunin (٢)) . قدجذبانظار الاوساط العمالية الى الدسائس والدناءات والعبارات الجوفـاء التي كان يراد بها وضع حركة البروليتاريا في خدمة الطمـوح الاجوف والاغراض الانـانية لبعض العباقرة المساء فهمهم . وقد منحنا مجـانين العظمة هؤلاء في اسبانيا ، وبعد فترة وجيزة ، الفرصة لرؤية عينة من نشاطهـم الثوري العملي . دعونـا نرى كيف وضعوا موضع التنفيـذ عباراتهـم المتطرفة في ثوريتهـا عن الفوضوية والاستقلال الذاتي والغاء كل سلطة وبالاخص سلطة الدولة ، وعن التحرير الشامل والفوري للطبقة العاملة . لقد بلغنا ، اخيرا ، موضعا نستطيع ان نرى منه كل ذلك ، ما دام لدينا بالاضافة الى تقارير الصحف اليومية عن الاحداث الاسبـانية ، التقرير الـذي بعثه « اتحاد مدريد الجديد » التابع للاممية .

ان انشقاق تنظيم الاممية ، كما هو معروف وشائع، اتاح فرصة كبيرة لاعضاء تحالف باكونين السري ، فقد انضمت اليه الغالبية العظمى من العمال . وعندما انبثقت الجمهورية في شباط ١٨٧٣ وجد أعضاء التحالف الاسبان انفسهم في ورطة كبيرة . ان اسبانيا بلد متخلف صناعيا بحيث لا يمكن طرح قضية الانعتاق الشامل للطبقة العاملة . ان على اسبانيا ان تمر اولا بمراحل تطور عديدة ، وان تزيل من طريقها عددا كبيرا من العقبات . ولكن لا يمكن الاستفادة من هذه الفرصة الا من خلال التدخل **السياسي** الفعال للطبقة العاملة الاسبانية . ادركت الجماهير العمالية ذلك : وأفصحت في كل مكان عن ميلها للمشاركة في الاحداث بغية الاستفادة من فرصة العمل عوضا عن ترك الميدان خاليا لنشاط ودسائس الطبقات المالكة كما كان الحال جاريا حتى تلك اللحظة . اعلنت الحكومة ان الانتخابات ستجري لاختيار المجلس التشريعي . فأي موقف ينبغي للاممية ان تتخذ ؟ كان القادة الباكونينيون ضائعين . ان مقاطعة النشاط السياسي كانت تضحي سخيفة ومستحيلة اكثر فأكثر يوما اثر يوم .

كان العمال يريدون « التحرك » ، ولكن اعضاء

التحالف كانـوا . مـن جهة اخرى قـد ظلوا يلقون المواعظ ، طوال سنين ، عن خطأ المساهمة بأية ثـورة لا يكون هدفها المباشر الانعتاق الفوري والشامل للطبقة العاملة. وان ممارسة اي نشاط سياسي يعني الاعتراف بالدولة القائمة التي هي مصدر كل الشرور ، لهذا فان المساهمة بـأي شكل مـن اشكال الانتخابـات جريمة تستحق الموت . اما كيف توصلوا الى حل المعضلة فهذا مـا يرويه لنا تقرير فرع الاممية الاسباني ــ اتحـاد مدريد الجديد ــ .

أن نفس أولئك الذين رفضوا قرار المؤتمر العـام للاممية بصـدد النشاط السياسي للطبقة العـاملة . وداسوا بأقدامهم على أنظمة الاممية مسببين الشقاق والصراع والفوضى فيتنظيمات الفرع الاسباني ؛ ان نفس هؤلاء الناس الذين تجرأوا على وصفنا للعمال باعتبارنا باحثين طموحين عن السلطة ، كتواقين لحيازة السلطة بحجة تسليمها للعمال ، ان هؤلاء الذين يسمون انفسهم مستقلين ، فوضويين ، وثوريين . . . الخ قـد اندفعوا بكل حماس في معمعان السياسة . ولكن في اسوأ انواعها : السياسة البرجوازية . لقد دأبوا لا على اعطاء السلطة السياسية للطبقة العاملة ــ الشيء الذي

ينظرون اليه برعب ـ بل على تعضيد زمرة برجوازية للفوز بالسيادة ، زمرة مؤلفة من مغامرين وطموحين وباحثين عن السلطة اطلقوا على انفسهم « الجمهوريين العنودين » . وفي عشية الانتخابات العامة لاختيار المجلس التشريعي ، أراد عمال برشلونة وألكوي ومناطق اخرى ان يعرفوا اية سياسة يتبعون ازاء النضال البرلماني والنضالات الاخرى ، فعقد لهذا الغرض اجتماعان كبيران، الاول في برشلونة والآخر في ألكوي. بذل التحالف ، في الاجتماعين ، كل الجهود الممكنة لمعارضة اتخاذ قرار حول السياسة التي على الاممية (من طرازهم) ان تتبعها . وقد تقرر **« ان على الاممية باعتبارها مؤسسة جماعية ان لا تمارس اي نشاط سياسي مهما كان نوعه ، ولكن بوسع أعضائها، كأفراد، ان يتصرفوا على هواهم وان ينضموا الى اي حزب يرتأون وفقاً لمبدئهم الشهير عن الاستقلال الذاتي !** ولكن ماذا نجم عن تطبيق هذا المبدأ الغريب ؟ نجم ان الاغلبية العظمى من اعضاء الاممية ، وبضمنهم الفوضويون . شاركت في الانتخابات بلا برنامج ولا شعارات ولا مرشحين ؛ وهذا ما يفسر واقعة نجاح الجمهوريين البرجوازيين في الانتخابات نجاحا واسعا .

باستثناء اثنين او ثلاثة عمال لا يمثلون شيئا على الاطلاق، والذين لم يرفعوا اصواتهم مرة واحدة للدفاع عن مصالح طبقتنا ، والذين يصوتون بطيبة خاطر لصالح الاقتراحات الرجعية التي تقدمها الاغلبية البرلمانية » .

هذا ما يؤدي اليه « الاحجام السياسي » للباكونينية . ففي ازمنة السلم عندما تعرف البروليتاريا سلفاً ان اقصى ما يمكن ان تبلغ هو الحصول على بضعة نواب في البرلمان . وان ليس لديها أمل بالفوز بأغلبية برلمانية ، فان من الواجب اقناع العمال هنا وهناك بأن اعظم انجاز ثوري هو التزام البيت خلال الانتخابات . وبشكل عام ، عوضاً عن مهاجمة الدولة الحقيقية التي نحيا فيها والتي تقمعنا . نهاجم دولة تجريدية ليس لها وجود في اي مكان وبالتالي فانها عاجزة عن الدفاع عن نفسها . انها لطريقة رائعة في لعب دور الثوري امام جماهير تخور عزيمتها بيسر وسهولة . اما كيف ينتمي قادة التحالف الى هذا النمط من خائري العزيمة فانه موضح بالتفصيل في التقرير المذكور آنفاً عن العصبة .

على اية حال ، ما ان تدفع الاحداث البروليتاريا الى الطليعة حتى تصبح العزلة السياسية سخافة جلية ، ويضحي التدخل الفعال للطبقة العاملة ضرورة لا

يمكن تلافيها . هكذا كان الحال في اسبانيا . ان تنازل الملك أماديو عن العرش ازاح الملكيين الراديكاليين(٤) عن السلطة ، وأبعدهم عن احتمال استعادتها في المستقبل القريب ، اما الالفونسيين(٥) فقد كانوا ، آنئذ ، في تشوش كبير ، في حين ان الكارليين(٦) فضلوا ، كما كانوا يفعلون دوما ، الحرب الاهلية على خوض الانتخابات . كل هذه الاحزاب استنكفت من العمل السياسي ، على الطريقة الاسبانية الاصلية . ولم يشترك في الانتخابات الا الجمهوريون الفدراليون المنقسمون الى جناحين ، اضافة الى جمهرة غفيرة من العمال . كان من المؤكد ان المرشحين الذين تدعمهم الاممية في المناطق الصناعية (كاتالونيا ، فالنسيا ، ومدن الاندلس) سوف يحوزون على انتصار باهر ما دام لديهم تنظيم رائع وجاذبية هائلة كان يتمتع بها اسم الاممية ، آنئذ ، في اوساط العمال الاسبان . كان ذلك سيتكلل بالحصول على أقلية فعالة في المجلس بوسعها ان تقرر النتائج كلما جاء دورها للتصويت بين جناحي البرجوازية المتصارعين . وقد أحس العمال بذلك : شعروا بأن الوقت قد حان لبعث الحياة في خمود تنظيمهم القوي . ولكن قادة المدرسة الباكونينية

الشرفاء كانوا قد وعظوا بانجيل الامتناع السياسي غير المشروط ؛ ولم يكن بوسعهم قلب الاتجاه ، ولهذا اخترعوا ذلك المخرج المحزن والمثير للرثاء : امتناع الاممية عن التصويت كمنظمة ، والسماح للاعضاء بالتصويت **كما يحلو لهم** كأفراد . ونتيجة أعلان الافلاس السياسي هذا ، فان العمال أعطوا اصواتهم ، كما يحدث عادة في هذه الحالات ، لأولئك الذين يبدون اكثر راديكالية ، اي الى الجمهوريين الفدراليين « العنودين » ، وشعورا من العمال بالمسؤولية ، بهذا القدر او ذلك ، ازاء الخطوات اللاحقة التي يتخذها نوابهم ، فانهم قد ارتبطوا بهم .

II

لم يعد بمقدور اعضاء التحالف ان يظلوا باقين في الوضع المضحك الذي ألقتهم به سياستهم الانتخابية الماكرة ، اذ ان ذلك كان سيؤدي الى نهاية سيطرتهم الراهنة على فرع الاممية في اسبانيا . كان عليهم ان

يفعلوا شيئا ما انقاذا للمظاهر . وكان الخلاص كامنا في **الاضراب العام** .

ان الاضراب العام ، في البرنامج الباكونيني ، هو رافعة الثورة الاجتماعية غير المقيدة . ففي صباح يوم جميل يكف العمال في جميع صناعات البلد الواحد ، بل في العالم كله عن العمل وفي ظرف اربعة اسابيع على اقصى تقدير يجبرون الطبقات الحاكمة اما على الاستسلام أو على مهاجمة العمال فيمنحون الأخيرين، بذلك ، حق الدفاع عن انفسهم ، اذ ينتهزون هذه الفرصة ليهدموا المجتمع القديم برمته . الفكرة ليست بجديدة : فالاشتراكيون الفرنسيون والبلجيكيون فيما بعد، قد امتطوا هذا الحصان مرارا منذ ١٨٤٨ . ولكنها تتحدر ، في حقيقة الامر ، من أصل انكليزي . ففي فترةالنمو السريع والمطرد للحركة الشارتية فيأوساط العمال الانكليز عقب اضرابات ١٨٣٧ كانت المواعظ تلقى بشأن « الشهر المقدس » للاضراب القومي العام منذ بدايات ١٨٣٩ (انظر كتاب « حالة الطبقة العاملة في انجلترا » انجلس. الطبعة الثانية ص ٢٣٤) وقد ذاعت الفكرة ذيوعا مدويا بحيث ان عمال مصانع شمالانجلترا شرعوا في وضعها موضع التنفيذ منذ تموز ١٨٤٢ .

وفي مؤتمر التحالف الفوضوي المنعقد في ايلول ١٨٧٣ بمدينة جنيف(٧) ، اعطي للاضراب العام دور رئيسي رغم اقرار الجميع بان تنظيما شاملا للطبقة العاملة وصندوقا ماليا ممتلئا كانا أمرين ضروريين . تلك هي المشكلة حقا .

فمن جهة، لن تسمح الحكومات للتنظيم ولا لاحتياطي العمال ببلوغ هذا المأرب وبالأخص اذا تشجعت بالاستنكاف السياسي ، ومن جهة اخرى فان اساءات ونشاط الطبقات الحاكمة السياسي سوف يعزز تحرر العمال قبل ان تتدبر البروليتاريا أمر بلوغ هذا التنظيم المثالي وهذه الموارد الاحتياطية الكبيرة بفترة طويلة . وحتى اذا ما حقق العمال ذلك ، فأنهم لن يكونوا بحاجة للجوء الى الاضراب العام لتحقيق غاياتهم . لا يمكن لأي امرىء يعرف القليل عن المكائد السرية للتحالف ، ان يرتاب لحظة واحدة بأن فكرة استخدام هذا الاسلوب المجرّب قد انبثقت من المركز السويسري . ومهما يكن الأمر فان القادة الاسبان قد رأوا فيه وسيلة للقيام بشيء ما دون اللجوء الى « السياسة » مباشرة ، فتمسكوا به مسرورين . وشرعوا ، في كل مكان .

يبشرون بالصفات الاسطورية للاضراب العام، واتخذوا الترتيبات اللازمة للبدء به حالا في برشلونة وألكوي. كانت الاوضاع السياسية . في ذات الوقت ، تسير حثيثا نحو الازمة ، وكان كاستلر وشركاه الجمهوريون الفدراليون القدامى المتبجحون مذعورين من تنامي الحركة العمالية التي تفوقهم حجما . لم يكن لديهم ما يفعلونه سوى تسليم السلطة الى بيا مارجل الذيحاول ان يصل الى اتفاق مع الجمهوريين العنودين . كان بيا مارجل من بين كل الموظفين الجمهوريين ، الاشتراكي الوحيد ، الشخص الوحيد الذي ادرك ضرورة اعتماد الجمهورية على الطبقة العاملة . فقدّم على الفور برنامجا يحتوي على اجراءات اجتماعية بغية تطبيقها فورا ، اجراءات لم تكن ذات فائدة للعمال فحسب . بل أن نتائجها سوف تستتبع بالضرورة خطوات أخر تؤدي على الاقل الى بدء تحرك الثورة الاشتراكية . الا ان باكونينيي الاممية الذين يضطرون الى رفض اكثر التدابير ثورية عندما تصدر عن « الدولة » فضلوا دعم اكبر المخادعين في الوسط الجمهوري الفدرالي على تعضيد وزير . سارت مفاوضات بيامارجل مع « العنودين » ببطء شديد ، وبدأ « العنودون » بفقدان

الصبر ، وشرع اكثرهم اندفاعا بالانتفاض في مقاطعات الأندلس . وحان وقت العمل بالنسبة لقادة التحالف ايضا ، اذ لم يكن في نيتهم ان يظلوا ذيولا للبرجوازيين « العنودين » فأمروا بالاضراب العام . وظهرت على جدران برشلونة هذه الملصقات وغيرها :

« ايها العمال ! ندعوكم الى الاضراب العام لنظهر كرهنا العميق الذي نشعر به ونحن نرى الحكومة تبعث جيشها ضد اخواننا العمال بينما لا تعبأ بالحرب مع الكارليين » .. الخ .

وبتعبير آخر فان عمال برشلونة ـ وهي أهم مركز صناعي اسباني وقد شهد تاريخها من المتاريس والقتال اكثر مما شهدته اي مدينة اخرى في العالم ـ كانوا مدعوين لمجابهة القوة المسلحة للحكومة لا بسلاح في اليد بل .. بـ اضراب عام ، بوسيلة تؤثر على البرجوازيين مباشرة كأفراد ، ولكنها لا تؤثر على ممثلهم الجماعي ـ قوة الدولة . لقد كان بوسع عمال برشلونة ، في هدوء زمن السلم ، ان يصغوا الى العبارات القتالية لرجال طيّعين مثل الريني وفارجا ، بيليسير وفيناس ؛ ولكن عندما آن أوان العمل ، أعلن اليريني وفارجا وفيناس برنامجهم الانتخابي الشهير أولا ، ثم حاولوا بعد ذلك

تهدئة الانفعالات ، وأخيرا اعلنوا الأضراب العام عوضاً عن توجيه نداء بحمل السلاح مثيرين بذلك احتقار العمال الواسع ضدهم . لقد أظهر أضعف الجمهوريين الفدراليين من الفعالية اكثر مما ابداه اقوى اعضاء التحالف . ولقد فقد التحالف وتنظيمات الاممية المخدوعة به كل نفوذهم ؛ وعندما دعا هؤلاء السادة للاضراب العام بحجة شل الحكومة فان العمال ، بكل بساطة ، سخروا منهم . الا ان تنظيم الاممية المزيف استطاع ان يبلغ بمساعيه أمرا واحدا على الأقل وهو ضمان عدم مساهمة برشلونة في تمرد المقاطعات .

ان برشلونة، حيث عناصر الطبقة العاملة ممثلة بقوة في كل مكان، هي المدينة الوحيدة التي يمكن لمساهمتها ان تدعم دعما راسخاً هذه العناصر العمالية متيحة الفرصة لها ، بذلك ، لأن تصبح سيدة الحركة بأكملها. اضافة الى ان مساهمة هذهالمدينة كان سيجعلانتصار الحركة مضموناً وعظيما . الا انها لم تحرك اصبعاً ؛ اما عمالها المخدوعون بالتحالف الذين كانوا يعرفون حقيقة الجمهوريين الفدراليين معرفة وثيقة ، فلم يفعلوا شيئا ، ضامنين بذلك الانتصار النهائي لحكومة مدريد . كل ذلك لم يمنع اليريني وبروس ، عضوا

التحالف (يمكن العثور على التفصيلات بصددهم في تقرير فرعنا عن التحالف) من التصريح في جريدتهم « التضامن الثوري »(٨) : « ان الحركة تنتشر كالنار في شبه الجزيرة .. لم يحدث في برشلونة شيء بعد، ولكن الثورة دائمة في السوق ! »

بيد انها كانت ثورة فوضوية ، ثورة تكمن في اذكاء وابل من نيران الخطابة ولهذا السبب تبقى « دائمة » في نفس « المكان » .

واندلع الاضراب العام بمدينة ألكوي في نفس الوقت حسب التقويم الزمني. ان ألكوي مركز صناعي حديث التكوين يبلغ تعداد نفوسه ٣٠ الف نسمة. وقد تغلغلت فيه الاممية بشكلها الباكونيني منذ عام واحد ولكنها تنامت سريعا .

كانت الاشتراكية ، بأية صيغة أتت ، تحظى بتقبل العمال الذين ظلوا قبل ذلك الحين خارج الحركة كما هو الحال احيانا في بعض المناطق المتخلفة من المانيا عندما كسبت الرابطة العامة للعمال الالمان بشكل فجائي أعداداً كبيرة من الأنصار المؤقتين. لهذا السبب أختيرت ألكوي مقراً للجنة الفدرالية للتحالف الباكونيني في اسبانيا . انهذه اللجنة الفدرالية هيالتي سنشاهدها

هنا قيد العمل .

في السابع من تموز صوّت أجتماع عمالي لصالح اعلان الاضراب العام ، وبعث المجتمعون ، في اليوم التالي ، وفداً الى عمدة المدينة ، سائلين اياه ان يجمع مالكي المصانع في ظرف ٢٤ ساعة ليقدم لهم مطالب العمال . تخلص العمدة ألبورس ، وهو برجوازي جمهوري ، من العمال ، وأرسل في طلب الجنود من اليكانت، ونصح اصحاب المصانع بعدم الرضوخ للمطالب والتحصن في بيوتهم ، اما فيما يخصه هو فقد قرر ان يبقى في مركزه . بعد الاجتماع بأصحاب المصانع ـ نحن نتتبع التقرير الرسمي للجنة الفدرالية للتحالف المؤرخ في ١٤ تموز ١٨٧٣ ـ أصدر العمدة ، الذي وعد أصلا باتخاذ موقف محايد ، بلاغاً « يشتم فيه العمال ويسبهم وينحاز الى جانب اصحاب المصانع معتدياً بذلك على حرية وحقوق المضربين ومتحدياً اياهم للنزال . »

اما كيف تحطم الرغبات الشريرة للعمدة حقوق وحرية المضربين فذلك ما لم يكن واضحا . على ايةحال قام العمال الذين يقودهم التحالف بابلاغ المجلس البلدي، عن طريق وفد ، انه اذا لم يكن ينوي التمسك بحياده

الموعود ازاء الاضراب ، فان من الافضل له ان يستقيل تفادياً للنزاع .

طُرد وفد العمال من دار البلدية ، وفيما كان يغادر المبنى أطلق البوليس النار على الجماهير العزلاء المسالمة التي تجمعت فيالساحة . هكذا نشبالصراع استناداً الى تقرير التحالف . وسلّح الناس انفسهم ، وبدأت معركة قدّر لها ان تدوم « عشرين ساعة » . فمنجهة العمال الذين قدرتهم جريدة « التضامن الثوري » بـ ٥٠٠٠ عامل ، ومن جهة اخرى ٣٢ جندرمه في دار البلدية مع بضعة افراد متمترسين في خمس او ست بيوت قريبا من السوق الذي أحرقته الجماهير بطريقة بروسية رائعة. نفذتذخيرة الجندرمة اخيرا واضطروا الى الاستسلام . يقول تقرير التحالف :

« كان بالامكان جعل الخسائر التي يؤسف لها اقل مما كانت عليه لو لم يخدع العمدة البورس الجماهير بتظاهره بالاستسلام ثم قيامه باغتيال اولئك الذين دخلوا دار البلدية واثقين بوعده، ولم يكن العمدة نفسه ليهلك على يد غضبة الجماهير المشروعة لو لم يصوّب مسدسه مباشرة الى اولئك الذين تقدموا للقبض عليه . »

ما هو عدد الخسائر في هذه الموقعة ؟

« على الرغم من استحالة احصاء عدد القتلى والجرحى بدقة » (في صفوف الجماهير) « فان الرقم الاكيد لا يقل عن عشرة . أما في صفوف المشاغبين فلم تكن الخسائر أقل من خمسة عشر بين قتيل وجريح . »

كان هذا اول قتال شوارع يخوضه التحالف. خمسة آلاف شخص يقاتلون ٣٢ جندرمة وبضعة برجوازيين مسلحين لمدة ٢٠ ساعة فيهزمونهم بعد أن تنفذ الذخيرة لدى الاخيرين . يبدو ان التحالف قد علّم اتباعه بنجاح ان يتبع حكمة فالستاف* المأثورة «التعقل افضل سمات الشجاعة » وبالطبع فان التقارير السيئة التي روجتها الصحافة البرجوازية عن المصانع التي احرقت بلا سبب ، والجندرمة الذين أعدمتهم الجموع وصبّت عليهم البترول واشعلت فيهم النيران، ما هي الا محض اختلاقات . ان العمال المنتصرين الذين يرفعون دوما شعار « اكسر ، دمّر ! » هم دائما كرماء اكثر مما ينبغي ليتصرفوا هكذا مع اعدائهم المهزومين حتى لو كان التحالف على رأسهم ، لذا فان المهزومين يتهمون العمال

* « فالستاف » احدى شخصيات شكسبير الكوميدية .

بكل الشناعات التي لن يتورعوا هم انفسهم عن ارتكابها عند انتصارهم .

وأخيراً ، احرز النصر .

واعلنت جريدة « التضامن الثوري » مهللة : « ان اصدقاءنا البالغ تعدادهم خمسة آلاف قد اصبحوا سادة الموقف في ألكوي . »

دعونا نرى ماذا فعل هؤلاء «السادة» في «موقفهم» .

ان معلومات وتقارير التحالف وجريدته تتركنا في حيرة من أمرنا حول هذه النقطة ، مما يجبرنا على الركون الى تقارير الصحافة الاعتيادية . وقد عرفنا منها ان « لجنة للسلامة العامة » أي حكومة ثورية قد شكلت في ألكوي على الفور ، رغم ان التحالف قد أقر في اجتماعه المعقود في سانت أمير (سويسرا) في ١٥ ايلول ١٨٧٢ ، بأن « اي تنظيم للسلطة السياسية ، باعتبارها سلطة مؤقتة كما يُزعم أو سلطة ثورية لا يمكن الا ان تكون خدعة جديدة تشكل خطراً على مصالح البروليتاريا شأنها شأن كل الحكومات القائمة . »
اضافة الى ذلك بذل اعضاء اللجنة الفدرالية للتحالف أقصى الجهود في الاجتماع المنعقد بألكوي لدفع مؤتمر الفرع الاسباني للأممية كي يتبنى قراره الخاص هذا .

ولكن بالرغم من كل ذلك نجد سافرينو والباراكان وهما عضوان في تلك اللجنة، وكذلك السكرتير فرانسيسكو توماس ، استناداً الى بعض التقارير ، يصبحون اعضاء في هذه الحكومة الثورية المؤقتة : لجنة السلامة العامة لمدينة ألكوي !

« فماذا فعلت لجنة السلامة العامة هذه ؟ اية اجراءات اتخذت لتنجز الانعتاق الكامل والفوري للطبقة العاملة ؟ »

لقد منعت اي رجل من مغادرة المدينة آذنة للنساء وحدهن بذلك شريطة ان يكون لديهن .. جواز مرور ! ان اعداء أي شكل من اشكال السلطة أعادوا العمل بنظام الجوازات . لقد كان حكمهم فوضى شاملة وتقاعساً كلياً وسخافة تامة .

وفي تلك الاثناء كان الجنرال فيلارد يتقدم من مدينة اليكانت بصحبة جنوده . كان لدى الحكومة كل الاسباب اللازمة لتأمل القضاء على التمردات المحلية في المقاطعات بلا ضجة ، وكان لدى « سادة الموقف » في ألكوي كل الاسباب اللازمة أيضا لتخليص انفسهم من الموقف الذي كانوا يتخبطون فيه باحثين عن مخرج . وهكذا تسلّى النائب كرفير بوقته وهو يقوم بمهمة الوسيط، فاستقالت

لجنة السلامة العامة ودخل الجنود المدينة في الثاني عشر من تموز دون ان يجابهوا ادنى مقاومة ، اما الشرط الوحيد الذي اشترطته لجنة السلامة فقد كان . . . العفو العام . بهذا تجنب الفوضويون « سادة الموقف » التصادم كرة اخرى . وهذا ما يميز خاتمة المغامرة في ألكوي .

أما في سان لوكار دي بارميدا قرب قادش ، فان تقرير الامية يشير لما يلي : « أغلق العمدة مقر الامية، واستثار حفيظة العمال بوعيده واعتداءاته المستمرة على حقوق المواطنين . وطالبت احدى اللجان رئيس الوزراء بالحفاظ على القانون ، واعادة فتح المقر الذي اغلق اعتباطاً . ووافق السنيور بيا مبدئياً ولكنه رفض الاستجابة للمطلب عملياً ؛ ولاحظ العمال ان الحكومة كانت تحاول بانتظام ان تحرّم جمعيتهم ، فطردوا السلطات المحلية واستعاضوا عنها باخرى أمرت باعادة افتتاح مقر الامية . »

وصرحت جريدة التضامن الثوري بانتصار : « الجماهير . . . هي سيدة الموقف في سان لوكار ! »

شكل الفوضويون ، هنا ايضا ، خلافا لمبادئهم الفوضوية ، حكومة ثورية دون ان يعرفوا كيف

يتصرفون بالسلطة . فأضاعوا الوقت في مناظرات عقيمة وقرارات على الورق ، وفي الخامس من آب بعث الجنرال بافيا ، بعد احتلال قادش وسيفيل ، بضعة مجموعات من حامية ساريا ، ولم يجابه أية مقاومة مهما كان شكلها . هكذا كانت المآثر البطولية للفوضويين التي يستعرضونها في الاماكن التي لا ينافسهم فيها أحد .

III

بعد نشوب قتال الشوارع في ألكوي مباشرة ، ثار الجمهوريون الفدراليون في الاندلس . كان بيا مارجل ما يزال في السلطة مرتبطاً بمفاوضات مستمرة مع قادة هذا الحزب بغية تأليف وزارة مشتركة . ماذا كان الهدف ، اذن ، من وراء العصيان بينما المفاوضات ما تزال جارية ؟ لم يكن بالمستطاع تحديد أسباب هذه العجلة ؛ ولكن ثمة شيء اكيد ، على اية حال ، وهو ان الفدراليين كانوا متلهفين لتأسيس الجمهورية الفدرالية

بصورة فعليــة وبأقصى سرعــة ممكنة ليتسنى لهــم الاستيلاء على السلطــة ، ونيل المنــاصب الحكوميــة الجديدة التي تنشأ في الاقاليم المستقلة . كان المجلس التشريعي ، في مدريد ، يمــاطل أكثر من اللازم في تجزئة اسبانيا ، لهذا فقد حــان الوقت ليتولى المرء شؤونه بنفسه ويعلن تأسيس الحكومات المحلية في كل مكان. انالسلوك الذي واظب عليه ، حتى الان، اعضاء الاممية (الباكونينيون) المتورطون منذ الانتخابات بمواقف الفدراليين ، جعل الركون الى دعمهم أمراً ممكناً . لقد كان الفوضويون ، على اية حال ، قــد استولوا لتوهم على السلطة ، بالقوة ، في ألكوي ، وكانوا ، بالتالي ، فيصراع مكشوف مع الحكومة. وقد كان الباكونينيون، بالاضافة الى ذلك، يبشرون لسنوات بأن اي فعل ثوري من الأعلى ضار ومميت ، وان كل شيء ينبغي ان ينظم وينفذ من أسفل. هنا واتتهم الفرصة لتحقيق مبدأهم الشهير بالاستقلال الذاتي من الأسفل ، على الأقل في بضعة مدن . ولا يمكن الافتراض ان الامور جرت على غير هذا النحو . ابتلع العمــال الباكونينيون الطعم ، وبدأوا في التقاط الكستناء من النار لأجل الفدراليين، لا لشيء الا ليكافَؤا من قبل حلفائهم فيما بعد بالركلات

والرصاص .

ماذا كان موقع فوضويي الاممية في هذه الحركة ؟ لقد ساعدوا على اكسابها شخصية فدرالية مجزأة ، محققين بذلك مثلهم الفوضوي الأعلى قدر الامكان . ان نفس الفوضويين الذين اعلنوا ، في قرطبة ومنذ شهر مضى ، تحريمهم لتشكيل حكومة ثورية زاعمين بأن ذلك خيانة وخديعة للعمال ، قد اشتركوا الآن في كل الحكومات المحلية في الاندلس، ولكن كأقلية دوماً، بحيث كان بوسع الفدراليين ان يفعلوا ما يحلو لهم . وقد احتكر الأخيرون القيادة السياسية والعسكرية للحركة ، مبعدين العمال ببضع خطب جميلة، او ببعض وعود اصلاحية ذات محتوى سخيف وساذج ، وعود كانت ، على اية حال ، حبراً على الورق . وكلما كان قادة الفوضويين يطالبون بامتيازات ايجابية ، حقيقية ، كان الفدراليون يرفضونها بازدراء . ولدى استجواب مراسلي الصحف البريطانية لقادة الحركة الفدراليين اسرعوا بالاجابة بأن ليس لديهم اية صلة بمن يُسمون « اعضاء الاممية » ، وانهم ليسوا مسؤولين بأي حال من الاحوال عن افعال هؤلاء ، وانهم كانوا يضعون قادتها ولاجئيها من كومونة باريس تحت رقابة البوليس

المشــددة . واخيرا ، كمــا سنرى ، اطلق الفدراليون النــار على حلفائهم الفوضويين ، في مدينة سيفيل ، اثناء المعارك ضد قوات الحكومة .

وهكذا ، في ظرف أيام قليلة ، وقعت الاندلس في قبضة الفدراليين المسلحين . لقد سقطت بأيديهم مدن سيفيل وغرناطة وقادش .. الخ دون مقاومة تقريبا . واعلنت كل مدينة عن نفسها كمقاطعة مستقلة، وشكلت حكومتها الثورية. واتبعت مورسيا وقرطاجنة وفالنسيا ذات النهج. وجرت في مدينة سالامانكا محاولة مماثلة ولكن باسلوب اكثر مسالمة . وبذلك وقعت اغلب مدن اسبانيــا الكبيرة بأيدي العصاة ، باستثنــاء العاصمة مدريد ـ مدينــة الترف التي تلعب دوراً حاسمــاً ـ وبرشلونة . لو كانت برشلونة قد ثارت لكان النجــاح النهائي مضمونا على وجه التقريب، ولكان بوسع المدينة ان تؤمن دعماً قويا للعناصر العمالية في الحركة . وقد سبق ان رأينا ان قوة الفدراليين في برشلونة كــانت معدومة، بيد ان الفوضويين اختاروا ، بالرغم من قوتهم آنذاك، الاضراب العام كوسيلة **لتجنب الصراع**. وهكذا لم تتبوأ برشلونة ، هذه المرة ، مكانها المعهود .

مهمــا يكن الأمر ، فان التمرد الذي بــدأ بأسلوب

الأرانب الطائشة كان يمتلك فرصة طيبة للنجاح لو انه وجّـه بشيء من الـذكاء ـ او بالاسـلوب العسكري الاسباني للانتفاضة الذي تثور بموجبه حامية احـدى المدن فتزحف الى المدينة المجـاورة وتحرض الحامية هناك وتقودها بصحبتها ؛ متضخمة هكـذا مثل كـرة ثلجية تتدحرج على سفح جبل ، لتتقدم نحو العاصمة ويتقرر النصر اما باشتباك محظوظ او بانحياز الجنود المرسلين للمجابهة الى صفوف الثوار. انهذا الاسلوب كان ملائما وبالأخص للوضع الراهن. لقدْ كانالمتمردون منظمين منذ أمد بعيد وفي كل مكان على هيئة كتـائب متطوعين . صحيح ان انضباط هذه الكتائب كان مزرياً الا انـه لم يكن ، بالتأكيـد ، اسوأ من انضباط بقايـا الجيش الاسباني الهرم الذي انهـارت معنوياته . ان الجندرمة (الحرس المدني) هم الجنود الوحيدون الذين كان بوسع الحكومة الاعتماد عليهم ، وقـد كان هؤلاء مبعثرين في ارجاء البلاد . كانت المهمة الرئيسية منع الجندرمة من التمركز ، ولا يتحقق ذلـك الا بمهاجمة العدو في ميدان مكشوف .

ان المجازفة التي يتضمنها هذا الهجوم ضئيلة مـا دامت الحكومة لا تستطيع مقاومة المتطوعين الا بجنود

يفتقرون الى التدريب مثلهم . كان ذلك هو السبيل الوحيد لفوز المعركة .

ولكن لا . ان فدرالية العنودين واتباعهم الفوضويين كانت تتلخص ، عملياً ، في ترك كل مدينة لترد الأذى عن نفسها ، وتصر لا على اهمية التعاون بين المدن بل على الانفصال فيما بينها ، معيقة ، بذلك ، أي احتمال لهجوم عام مشترك . ما كان شراً لا بد منه في حرب فلاحي المانيا والانتفاضات الجرمانية في مايس ١٨٤٩ ـ تفكك وعزلة القوى الثورية التي مكّنت نفس المجموعة من جنود الحكومة من الالتفاف وقمع الثورات المحلية الواحدة بعد الاخرى(٩) ـ اعلن هنا على انه أسمى مبادىء الحكمة الثورية . كانت تلك قناعة باكونين . فقد صرح في ايلول ١٨٧٠ (عبر رسائله « الى فرنسي »(١٠)) بأن السبيل الوحيد لطرد البروسيين خارج فرنسا عبر نضال ثوري لا يتم الا بالغاء كل القيادات المركزة ، ودفع كل مدينة وكل قرية وكل كومونة لتشن حربها الخاصة . وما على المرء الا ان يقاوم الجيش البروسي ذي القيادة الواحدة بهيجان العواطف الثورية كي يحرز نصراً أكيداً . ان عبقرية مولتكه الفردية سوف تتلاشى بمواجهة العبقرية

الجماعية التي يستعيدها القرنسي اخيرا . كل ما في الأمر ان الفرنسيين لم يفهموا ذلك في حينه ، الا ان باكونين أحرز انتصارا لامعاً في اسبانيا ، كما سبق ان رأينا وكما سنرى الان .

في غضون ذلك : جعلت هذه الانتفاضة المتسرعة التي اندلعت دون سبب على الاطلاق ، استمرار المفاوضات مستحيلا بين الفدراليين وبيا مارجل . فأجبر على الاستقالة واستعيض عنه برجل جمهوري خالص مثل كاستلر ، برجوازي بلا قناع ، هدفه الاول سحق الحركة العمالية التي استفادت منها البرجوازية سابقاً والتي اضحت الآن عائقاً . شكلت فرقة عسكرية بقيادة الجنرال بافيا بقصد ارسالها ضد الاندلس ، وفرقة ثانية بقيادة الجنرال كامسنت لتتولى أمر فالنسيا وقرطاجنة . ان نواة هاتين الفرقتين مؤلفة من الجندرمة الذين سحبوا من انحاء اسبانيا اضافة الى كل الجنود القدامى الذين كان انضباطهم وتدريبهم ما يزال سليما. ومثلما جرى الحال في هجمات جيش فرساي على باريس ، استدعي الجندرمة ثانية ليرفعوا المعنويات المنهارة للقوات العسكرية وليكونوا دوماً على رأس الأرتال المهاجمة ، وقد نفذوا هذه المهمات خير تنفيذ.

الى جانب ذلك كانت هناك فرق مؤلفة من كتائب نظامية مختلطة يبلغ تعداد كل واحدة منها زهاء ٣ آلاف رجل.

كان ذلك كل ما بوسع الحكومة ان تعبىء من قوى ضد المتمردين . انطلق الجنرال بافيا في ٢٠ تموز . وفي الرابع والعشرين منه احتلت قرطبة بمفرزة من الجندرمة والجنود النظاميين بقيادة ربول . وفي التاسع والعشرين شن بافيا هجوما على سيفيل المحصنة التي سقطت بيده في ٣٠ او ٣١ تموز (البرقيات متضاربة) . وبعد ان خلف وراءه رتلا متحركا لاخضاع الريف المجاور ، تقدم باتجاه قادش التي لم يقاتل المدافعون عنها الا عند قدومهم الى المدينة . ولم يفعلوا ذلك الا بحماس فاتر ، وبعد ذلك وفي الرابع من آب سمحوا بانتزاع السلاح منهم دون مقاومة . وفي الايام القليلة التالية جرّد الجنرال بافيا مدن سان لوكار دي بارميدا ، سان روك ، تاريفا ، والجيكيراس من السلاح، بالاضافة الى عدد وافر من المدن الصغيرة التي كانت قد اعلنت نفسها كمقاطعات مستقلة . وارسل ، في ذات الوقت، المفارز الى مالاقا وغرناطة اللتين استسلمتا دون اطلاق نار ، وذلك في الثالث والثامن من آب على التعاقب، بحيث ما ان حل العاشر من آب حتى خضعت

كامل مدن الاندلس في أقل من أسبوعين ودون قتال تقريبا .

في ٢٦ تموز صعد مارتينيز كامبوس هجومه على فالنسيا . كانت الثورة ، هنا ، قد انفجرت على يد العمال . عندما انشق تنظيم الاممية الاسباني، حصلت الاممية الحقيقية على الاغلبية في فالنسيا ، ونقل المجلس الفدرالي مقره اليها . وبعد أعلان الجمهورية بفترة وجيزة ، وعندما كانت المعارك الثورية وشيكة الوقوع، وعد عمال فالنسيا الباكونينيون، وقد ساورتهم الريب من قادة برشلونة الفوضويين الذي قنّعوا خمودهم بعبارات مفرطة الثورية . اعطى العمال وعداً للأممية الحقيقية بالتعضيد في كل النشاطات المحلية. وعندما اندلعت الانتفاضة في المقاطعة ناضل الاثنان سوية مستفيدين من الفدراليين العنودين وأزاحوا جنود الحكومة . ان تركيب حكومة فالنسيا المحلية غير معروف ، ولكن يتضح من تقارير مراسلي الصحف الانكليزية ان العمال كانوا يشكلون الاغلبية قطعاً . لقد تحدث نفس هؤلاء الصحفيين عن ثوار فالنسيا باحترام كانوا بعيدين عن محضه للثوار الآخرين : العنودين المهيمنين . وقد امتدح المراسلون انضباط الثوار

والنظام الذي كان سائداً في المدينة . وتنبأوا بمقاومة طويلة وقتال عنيف . ولم يكونوا مخطئين .

ان فالنسيا ، تلك المدينة المنبسطة ، قد قاومت هجمات فرقة مارتينيز كامبوس من ٢٦ تموز وحتى ٨ آب ، أي لفترة اطول من مقاومة كل مدن الاندلس مجتمعة .

في اقليم مورسيا تم احتلال العاصمة المسماة بنفس الأسم دون مقاومة . بعد سقوط فالنسيا توجه مارتينيز كامبوس الى قرطاجنة ذات الحصون المحكمة الدفاع ، والمصانة من جهة البر بسور وسلسلة من القلاع تقع على المرتفعات المسيطرة .

ان جنود الحكومة الثلاثة آلاف المفتقرين الى المدفعية في حصارهم ، كانوا عاجزين بالطبع عن مواجهة المدفعية الثقيلة للقلاع بأسلحتهم الميدانية الخفيفة ، مما اضطرهم الى الاقتصار على محاصرة المدينة براً . الا ان هذا التدبير لم يكن ليقدم او يؤخر ما دامت قرطاجنة تهيمن على البحر بالبوارج التي أسرتها في الميناء . ان ثوار قرطاجنة الذين كانوا يروحون جيئة وذهابا الى فالنسيا والاندلس ابان القتال لم يكونوا يكترثون الا بأنفسهم ، ولكنهم بادروا للتفكير بالعالم الخارجي بعد ان اخمدت

كل الثورات ونفذت نقودهم ومؤنهم . عند ذاك فقط . جرت محاولة للزحف علـى مدريد التي تقع على بعـد ستين ميلا ألمانياً على اقل تقدير ، اي اطول من ضعفي المسافة بين فالنسيا وغرناطة ! انتهت الحملة بكـارثة غير بعيد عن قرطاجنة ، ووضع الحصار حداً لأية محاولة جديدة لهجوم بري . بعد ذلك تولع ثوار قرطـاجنة بالهجوم البحري . ولكن اية هجمات ! ان حث المـدن الساحلية التي أذعنت مؤخرا على الانتفاض من جديد كان أمراً مستحيلا . لذا اقتصر نشاط اسطول الحكومة المحلية لقرطاجنة على التهديد بقصف المدن السـاحلية من فالنسيا حتى مالقة ، او بقصفهن فعلا ان اقتضت الضرورة ، أي فيما لو امتنعت عن تقديم المؤن المبتغاة ودفع ضريبة الحرب بالعملة الصعبة . عندما كانت هذه المدن ترفع السلاح بوجه الحكومـة كمقاطعات مستقلة فان المبدأ السـائد في قرطـاجنة كان : « كل امرىء لنفسه » ! أما بعد الهزيمة فقد رفعوا شعار : « الجميع من اجل قرطاجنة » .

هكـذا كـان الفـدراليون العنودون وحلفـاؤهم الباكونينيون يفهمون الاتحـاد الفـدرالي للمقاطعـات المستقلة .

أطلقت حكومة قرطاجنة ، لفرض تعزيز صفوف المدافعين عن الحرية ، سراح ١٨٠٠ مجرم من سجن المدينة ، وهم من اسوأ انواع اللصوص والقتلة في اسبانيا برمتها . ولا يساورنا أي شك ، على ضوء المعلومات التي يكشفها التقرير عن التحالف ، بأن الباكونينيين هم الذين اقترحوا هذا الاجراء الثوري. ويطلعنا التقرير كيف انباكونين كان يحلم ب : اطلاق سراح كل العواطف الشيطانية ، وكيف انه كان يعرض قاطع الطريق الروسي كنموذج أصيل للثوري . ما هو ملائم للروسي ينبغي ان يناسب الاسباني . لقد كانت حكومة قرطاجنة تتصرف بروح باكونين عندما حررت الـ « عواطف الشيطانية » لـ ١٨٠٠ قاطع طريق من السجن ، هابطة ، بذلك ، بمعنويات جنودها المنهارة الى الحضيض. اما الحكومة الاسبانية فقد كانت تنتظر سقوط قرطاجنة عبر التفسخ الداخلي للمدافعين عنها عوضاً عن سحق الحصون وتحويلها الى تراب ، وكانت بذلك تتبع سياسة صحيحة تماما .

دعونا ، الآن، نلقي نظرة على ما يقوله تقرير « اتحاد مدريد الجديد » عن هذه الحركة بأكملها :

« كان الواجب يقتضي عقد المؤتمر العام في فالنسيا في ثاني يوم أحد من شهر آب. ومن بين المهام العديدة. كانت هناك مهمة عاجلة ، وهي تحديد موقف ـ اتحاد الاممية الاسباني ـ من الاحداث السياسية الخطيرة التي تجري في اسبانيا منذ الحادي عشر من شباط. يوم اعلان الجمهورية . الا ان العصيانات الوضيعة والمخفقة بشكل يثير الرثاء ، والتي لعب فيها اعضاء الاممية دوراً فعالا في كل المقاطعات المتمردة، لم تتسبب في شل الجمعية الفدرالية وتشتيت معظم اعضائها فحسب ، بل خرّبت تخريبا تاماً كل التنظيمات المحلية بعد أن جرّت على الاعضاء ـ وهذا اسوأ ما في الأمر ـ كل الكراهية والملاحقة اللتان تنجمان عن هزيمة انتفاضة يُساء تدبيرها . .

عندما اندلعت التمردات في الاقاليم وتأسست الحكومات المحلية، فان نفس هؤلاء الناس (الباكونينيين)

« الذين صرخوا بصوت عـال ضد السلطة السياسية واتهمونا بقسوة ب « التسلطية » لم يتورعوا عن الانضمام الى هذه الحكومات . وفي مدن سيفيل وقادش وسان لوكار دي بارميدا وغرناطة وفالنسيا شارك العديد من اعضاء الامية « المضادين للسلطة » في الحكومات المحلية دون اي برنامج باستثناء الاستقـلال الذاتي للمقاطعة او الاقليم . وقد ثبت ذلك رسميا بالبلاغات والوثائق التي اصدرتها الحكومات المحلية المذكورة اعـلاه والتي تحمل اسماء وتواقيع اعضاء ذائعي الصيت من الاممية.

« ان هذا التناقض الفاضح بين النظرية والممارسة، بين الدعاية والعمل لم يكن ليعني الكثـير لو أن هـذا السلوك قد ادى او كان يمكن ان يؤدي الى اية فوائـد لحزبنا ، او اي تقدم في سبيل تنظيم قوانا ، او يقرب بلوغ هدفنا الأساسي : انعتاق الطبقة العاملة . ولكـن العكس هو الذي حدث في الحقيقة ، كما كان مفترضا، وذلك في ظل غياب التنسيق بين التنظيمات المحلية ، وقد نتج عن ذلك ان الحركة تركت للمبادرة الفردية او المحلية ودون قيادة غير تلـك التي يفرضها التحالف الغامض التي ما زالت لسوء الحظ تهيمن علـى الفرع الاسباني للامية ، ودون اي برنـامج سوى برنـامج

اعدائنا الطبيعيين : الجمهوريين البرجوازيين .
وهكذا استسلمت الانتفاضات المحلية استسلاما مشيناً دون ان تبدي اي مقاومة تقريبا . فجرت . سقوطها ، هيبة وتنظيم الاممية الى الحضيض . ولا يوجد اليوم اي تجاوز أو جريمة او عمل من اعمال العنف لا يضعه الجمهوريون على باب الاممية . وقد اخبرنا مصدر موثوق في سيفيل ان الفدراليين « العنودين » اطلقوا النار على حلفائهم اعضاء الاممية (الباكونينيين) خلال المعارك. ان الرجعية التي استثمرت اخطاءنا بفطنةوذكاء ، تحرض الجمهوريين الآن لملاحقتنا. مثيرة في ذات الوقت الجماهير المحايدة ضدنا . ان ما كانوا عاجزين عن تحقيقه ايام ساجاستا يحققونه الآن بيسر وسهولة . ان اسم الاممية اليوم يثير الاشمئزاز حتى في الاوساط العمالية . وقد انسحبت قطاعات عمالية عديدة من تنظيم الاممية في برشلونة احتجاجا على رجال صحيفة « الاتحاد » (اللسان الرئيسي للباكونينيين) « واحتجاجا على سلوكهم الذي يتعذر تفسيره ، وفي جيريز ، بورتو دي سانتا ماريا اضافة الى أماكن اخرى ، قامت التنظيمات الاتحادية بحل نفسها . وفي لوجا (اقليم غرناطة) طرد السكان

المحليون الاعضاء القليلين للاممية الذين كانوا يعيشون هناك . وفي مدريد ، حيث يتمتع المرء بحرية واسعة، لا يبدي «الاتحاد القديم» أدنى علامة من علامات الحياة، في حين ان « اتحادنا الجديد » مرغم على البقاء في حالة السكون والصمت لنتجنب مسؤولية خطايا الاخرين . اما في مدن الشمال فان حرب الكارليين المستعرة تعيقنا عن القيام بشيء . واخيرا، في فالنسيا، حيث ربحت الحكومة المعركة بعد حصار دام اسبوعين، فان أعضاءنا الذين لم يتسنَّ لهم الفرار ، مرغمون على المكوث في الخفاء، كما ان اللجنة الفدرالية قد انحلت تماما.»

لقد أخذنا الكثير من تقرير مدريد . وكما نرى ، فانه يتطابق تماما مع سرد الاحداث التاريخية اعلاه . لنتمعّن الآن في نتائج تحرياتنا :

١ ـ حالما جوبه الفوضويون بموقف سياسي ثوري وخطير ، اضطروا للتخلي عن كامل برنامجهم السابق. فقد ضحوا قبل كل شيء بمبدأ الامتناع السياسي الجامد (الدوغماتي) وبالأخص مقاطعة الانتخابات . بعد ذلك جاء دور الفوضوية والغاء الدولة : فعوضاً عن الغاء الدولة شرعوا ، على العكس من ذلك ، في تشكيل عدد جديد من الدول الصغيرة . واستمروا في

التخلي ، فهجروا مبدأهم القائل بأن على العمال ان لا يشاركوا في اية ثورة ما لم يكن هدفها الانعتاق الشامل والفوري للبروليتاريا ، وساهموا في حركة كانت شخصيتها البرجوازية الخالصة واضحة ومكشوفة . وأخيرا داسوا بأقدامهم على المبدأ الذي تبنوه منذ قليل ـ والذي ينص على ان تشكيل حكومة ثورية ليس الا خديعة جديدة وخيانة جديدة للطبقة العاملة ـ ونصّبوا انفسهم بكل ارتياح في الحكومات المحلية في مدن مختلفة ، والأنكى من ذلك انهم كانوا يشكلون على الدوام أقلية واهنة مستغلّة ومشلولة من قبل البرجوازية .

٢ ـ في انكارهم للمبادىء التي طالما بشروا بها . فقد فعلوا ذلك بأكثر الأساليب زيفاً وجبناً وتحت وطأة ضمير مذنب . فلا الفوضويون انفسهم ولا الجماهير التي اقتادوها ، انضموا الى الحركة بأي برنامج او اي فكرة واضحة عما يبتغونه . ما هي الحصيلة المنطقية لذلك ؟ أما ان يعيق الفوضويون أي حركة كما جرى في برشلونه ، او ان يجدوا انفسهم مجرورين الى انتفاضة عقيمة معزولة وغير مخططة كما في ألكوي وسان لوكار دي باراماد ، او ان قيادة الثورة تقع في ايدي البرجوازيين « العنودين » كما حصل في اغلب

الحالات . وهكذا عندما يأتي أوان التنفيذ فان عبارات الفوضويين المتطرفة في ثوريتها تخلي مكانها للمراوغة : الانتفاضات محكوم عليها بالفشل . أو انهم يشايعون حزباً برجوازيا لا يكتفي باخضاع العمال لأبشع استغلال سياسي فقط بل حتى يكافئهم بالصفعات .

٣ ـ ان كل ما يتبقى من المبادىء الفوضوية المزعومة عن الاتحاد الحر للجماعات المستقلة . . الخ لم يكن الا تخريباً لا نهائياً لوسائل النضال الثوري مكّن الحكومة من اخضاع مدينة اثر اخرى بقبضة جنود لم يواجهوا عمليا اية مقاومة .

٤ ـ النتيجة النهائية لهذه المسخرة ان الاممية الاسبانية ـ بفرعيها المزيف والحقيقي ـ التي كانت كبيرة جيدة التنظيم لم تجد نفسها متورطة في انهيار البرجوازيين « العنودين » لدرجة انها اليوم لم تنحل فحسب، بل ان كل انواع الجرائم الملفقة ، التي لا يمكن للحمقى بدونها ان يتصوروا ثورة عمالية ، قد ألصقت بهم ، وبذلك أضحى من المستحيل على الاممية، لسنوات عديدة قادمة ، اعادة تنظيم البروليتاريا الاسبانية .

٥ ـ وباختصار فان الفوضويين الاسبان قد اعطونا درسا لا يبارى في كيفية **عدم** صنع الثورة .

الـهـوامـــش

١) كتب انجلس هذه المقدمة في كانون الثاني ١٨٩٤ عند اعادة طبع كراس « الباكونينية في العمل » كجزء من مجموعـــة مقالات عن الاممية . احتوت المقدمة على عدة اخطاء ثانويـــة فيما يخص تاريخ وقوع بعض الاحداث . فقد اعلنت الجمهورية في اسبانيا في ١١ شباط ١٨٧٣وجرت انتخابات المجلس التشريعي في ١٠ مايس ١٨٧٣ . (ص ٣) .

٢) نشر مقال « الباكونينية في العمل » لاول مره في جريدة فولكشتات الاعداد ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ في ٣١ تشرين الاول و ٢، ٥ تشرين الثاني سنة ١٨٧٣ ، وقد كتبه انجلس فور وقوع احداث ١٨٦٨ — ١٨٧٤ . استمد انجلس معلومـــاته من الصحف اليـــومية ، والوثائق المتنوعة لفرع الاممية الاسباني وبالاخص التقرير الذي رفعه اتحاد مدريد الجديد الى مؤتمر الاممية المنعقد في جنيف من ٨ الى ١٣ أيلول ١٨٧٣ .

بعد ظهور مقال انجلس في الصحيفة ، نشر بشكل كراس معنون بالالمانية

Die Bakunisten an der Arbeit. Denkschrift über den Letzten Aufstand in Spanien (LEIPZIG).

وفي ١٨٩٤ اضيف المقال الى مجموعة مواد لانجلس عن الاممية الاولى ١٨٧١ — ١٨٧٥ ، ونشرته في برلين جريدة « VORWARTS » وقد اضاف له انجلس مقدمة وجيزة واجرى عليه بضعة تعديلات .

اول ترجمة روسية لكراس « الباكونينية في العمل » اعدها لينين للطبع ونشرت ككراس منفصل من قبل اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الروسي في جنيف ١٩٠٥، وفي سانت بطرسبرغ ١٩٠٦ (ص ٣) .

(٣) سلسلة مقالات كتبها انجلس وهي تؤلف خلاصة مكثفة بالالمانية عن كتاب (تحالف الاشتراكية الديمقراطية وجمعية الشغيلة الاممية) ، نشرت في الاعداد ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ من (فولكشتات) في ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ، و ٢٦ أيلول ١٨٧٣ تحت عنوان El Cagliostro Bakunin (٤) - في طبعة ١٨٩٤ ، احل انجلس محل هذه الاشارة ، الاشارة الى الترجمة الالمانية الكاملة للكتاب ، التي ظهرت سنة ١٨٧٤ . (ص ٧) .

(٤) اشارة الى الملكيين الدستوريين الذين دعموا الملك اماديو الذي اجلسته على العرش الاسباني القوى الاوروبية (ص ١٢) .

(٥) الالفونسيون — فئة مرتبطة بالاوساط الرجعية لكبار ملاك الارض الاسباني ، ورجال الدين ، والشرائح العليا من البرجوازية والذين كانوا يدعمون المطالب البوربوني المطالب بالعرش والذي توج ملكا على اسبانيا في ١٨٧٤ تحت اسم الفونسو السابع . (ص ١٢

(٦) الكارليين — مجموعة رجعية دينية من دعاة الحكم المطلق الذين عاضدوا مطالبة دون كارلوس شقيق فرديناد السابع بالعرش الاسباني في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، معتمدين على العسكريين ورجال الدين الكاثوليك وعلى الفلاحين الرجعيين في اقاليم عديدة . واشعل الكارليون في ١٨٣٣ نار الحرب الاهلية التي دامت حتى ١٨٤٠ وتطورت الى صراع بين الكاثوليك والعناصر الاقطاعية من جهة ، والبرجوازية الليبرالية من جهة اخرى . وبعد موت دون كارلوس في ١٨٥٥ ، شايع الكارليون حفيده دون كارلوس الصغير . في ١٨٧٢ ابان ازاء تفاقم الازمة السياسية للصراعات الطبقية ، ضاعف الكارليون نشاطاتهم مما ادى الى اندلاع حرب اهلية اخرى دامت حتى ١٨٧٦ (ص ١٢) .

(٧) اشارة الى مؤتمر الفوضويين المنعقد بجنيف أيلول ١٨٧٣/٦/١ (ص ١٥) .

(٨) «التضامن الثوري» جريدة اسبوعية فوضوية صدرت بالفرنسية من حزيران الى أيلول ١٨٧٣ . وكانت منبر اللجنة الاعلامية الثورية الاشتراكية لجنوب فرنسا اسسها اليرني وبروسيه لغرض ترويج الافكار الفوضوية في فرنسا في اوساط لاجئي كومونة باريس (ص ١٩) .

(٩) راجع كتابي « حرب الفلاحين في المانيا » و « الحملة الالمانية من اجل الدستور الامبريالي » كليهما بقلم انجلس. (.ص ٣١) .

(١٠) يشير انجلس الى منشور باكونين « رسائل الى صديق فرنسي حول الازمة الراهنة » نشرته مصادر مجهولة في نيوشاتل ١٨٧٠ (ص ٣١) .

مرجع الأسماء

□ أ

* **الباراسيان ، سافرينو** (مات عام ١٨٧٨) : فوضوي اسباني قاد انتفاضة الكوي في ١٨٧٣ .
* **اليريني ، كارلس** (ولد عام ١٨٤٢) فوضوي فرنسي من اعضاء الاممية ــ فرع مارسيليا . فر الى برشلونه اثر سقوط كومونة باريس ، وانتخب مندوبا الى مؤتمر لاهاي للاممية الاولى في ١٨٧٢ .
* **اماديو** (١٨٤٥ ــ ١٨٩٠) : ملك اسبانيا من ١٨٧٠ وحتى ١٨٧٣ .

□ ب

* **باكونين ، ميخائيل الكسندروفتش** (١٨١٤ ــ ١٨٧٦) : مؤسس الايديولوجية الفوضوية . شن ، كعضو في الاممية الاولى ، صراعا متعصبا حادا ضد المجلس العام الذي يقوده ماركس . وقد طرد من المجلس في ١٨٧٢ .

* **بروس ، بول** (١٨٤٥ — ١٩١٢) : برجوازي صغير فرنسي انضم الى الفوضويين في السبعينات . في ١٨٧٣ ساعد على تنظيم لجنة الدعاية الثورية الاشتراكية في برشلونه ورأس تحرير جريدة « التضامن الثوري » . وفي ثمانينيات القرن الماضي اصبح قائد الجناح الانتهازي للحزب الاشتراكي الفرنسي (الامكانيون) .
* **بافياي رود ريفوس ، مانويل** (١٨٢٧ — ١٨٩٥) : جنرال اسباني ترأس الانقلاب لصالح كاستلر في ١٨٧٣ ، وسحق انتفاضات الاقاليم (١٨٧٣ — ١٨٧٤) .
* **بيا مارجل ، فرانسيسكو** (١٨٢٤ — ١٩٠١) : سياسي اسباني . زعيم الجناح اليساري للجمهوريين الفدراليين ، ورئيس الحكومة الجمهورية خلال حزيران وتموز ١٨٧٣ .

□ **ت**

* **توماس ، فرانسيسكو** (١٨٥٠ — ١٩٠٣) فوضوي اسباني ، سكرتير اللجنة الفدرالية في الكوي .

□ **ر**

* **ريبول** : ضابط اسباني .

□ **س**

* **سالميرون ي الونسو ، نيكولاس** (١٨٣٨ — ١٩٠٨) : سياسي جمهوري اسباني . شارك كوزير للعدل في ١٨٧٣ ، وفيما بعد كرئيس للحكومة ، في القمع الوحشي لانتفاضات الاقاليم .
* **سوريا سانتا كروز ، فردريكو** (١٨١٥ — ١٨٩١) : جنرال اسباني .

□ ف

* **فارجا بليكار ، رافاييل** (١٨٤٠ — ١٨٩٠) : عامل طباعة اسباني في برشلونه ، واحد اعضاء الاممية الاولى (التحالف) . رئيس تحرير بالوكالة لجريدة الاتحاد في ١٨٦٩ ، مندوب منتخب لاجتماع بازل ولاهاي للاممية (١٨٦٩ و ١٨٧٢ على التوالي).
* **فيلارد ، جوزيه ماريا** : جنرال اسباني
* **فيناس ، غارسيا جوزيه** : طالب طب ، عضو في تحالف باكونين في برشلونه . انسحب من الاممية في ١٨٧٢ .

□ ك

* **كامبوس** : انظر مارتينيز دي كامبوس .
* **كارستلري ريبول ، اميليو** (١٨٣٢ — ١٨٩٩) جمهوري يميني اسباني سياسي ومؤرخ وكاتب . ابتدأ من أيلول ١٨٧٣ وباعتباره رئيسا للحكومة التي توفرت لها القوة لمجابهة الطوارىء ، كان مسؤولا عن القمع الوحشي لحركة الاقاليم .
* **كرافيرا ، رافاييل** (١٨٢٨ — ١٩٠٨) : طبيب . عضو هيئة تحرير الصحيفة الجمهورية « الجمهورية الفدرالية » . عضو المجلس التشريعي .

□ م

* **مارتينيز دي كامبوس ، ارسينيو** (١٨٣١ — ١٩٠٠) : جنرال اسباني .
* **مولتكه ، فرن**، كونت هيلموث كارل بيرنهارد (١٨٠٠ — ١٨٩١): فيلد مارشال بروسي . رئيس الاركان من ١٨٥٨ الى ١٨٨٨ .

الفهـرس

طبع على مطابع
شركة تكنوبرس الحديثة ــ ش.م.ل.

تلفون ٢٣٩٠٥١ ــ ٢٤٣٧٥٧

ص.ب ٦٦٨٢ ــ بيروت

Mouyn

الثمن : ١٢٥ ق.ل.